

أضواء البيان

@ 125 @ القبيلة ، ومن أصرح الشواهد العربية في ذلك قوله : أحدهما : أن من أساليب اللغة العربية إسناد فعل الرجل الواحد من القبيلة إلى جميع القبيلة ، ومن أصرح الشواهد العربية في ذلك قوله : % (فسيب بني عيس وقد ضربوا به % نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد) . %

فإنه نسب الضرب إلى جميع بني عيس مع تصريحه بأن السيف في يد رجل واحد منهم ، وهو ورقاء بن زهير ، والشاعر يشير بذلك إلى قتل خالد بن جعفر الكلابي لزهير بن جذيمة العيسية ، وأن ورقاء بن زهير ، ضرب بسيف بني عيس ، رأس خالد بن جعفر الكلابي ، الذي قتل أباه ونبا عنه ، أي لم يؤثر في رأسه ، فإن معنى : نبا السيف ارتفع عن الضريبة ولم يقطع . . . والشاعر يهجو بني عيس بذلك . . .

والحروب التي نشأت عن هذه القصة ، وقتل الحارث بن ظالم المري لخالد المذكور ، كل ذلك معروف في محله . . .

والأمر الثاني : أن جميع كفار قريش ، صوبوا ضرب ابن الزبيري عيسى مثلاً ، وفرحوا بذلك ، ووافقوه عليه ، فصاروا كالمتمائلين عليه . . .

وبهذين الأمرين المذكورين جمع المفسرون بين صيغة الجمع في قوله : { فَعَقَرُوا } { الذِّقَاقَةَ } وقوله { فَكَذَّبُوهُ } { فَعَقَرُوهُمَا } وبين صيغة الإفراد في قوله : { فَتَدَاوَوْا } { صَاحِبَهُمْ } { فَتَدَاوَى } . . .

وقال بعض العلماء : الفاعل المحذوف في قوله ولما ضرب ابن مريم مثلاً هو عامة قريش . . . والذين قالوا إن كفار قريش لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عيسى ، وسمعوا قول الله تعالى : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ } . ثالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما تريد بذكر عيسى إلا أن نعبدك كما عبد النصارى عيسى . . .

وعلى هذا فالمعنى أنهم ضربوا عيسى مثلاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، في عبادة الناس لكل منهما ، زاعمين أنه يريد أن يعبد كما عبد عيسى . . .

وعلى هذا القول فمعنى قوله { مَا ضَرَبَ بُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } أي ما ضربوا لك هذا